اتحاد الجامعات العربية

مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب

مجلّة علميّة نصف سنويّة محكّمة

تصدر عن الجمعيّة العلميّة
لكلّيّات الآداب في الجامعات الأعضاء
في اتّحاد الجامعات العربيّة

المجلّد الحادي والعشرون

العدد الأوّل

أبريل 2024م/ شوال 1445هـ

ISSN 9849- 1818

دوافع استحضار الشخصيّات في شعر هلال السيابيّ وآليّات استدعائها

عيسى بن سعيد بن عيسى الحوقاني *

https://dol.org/10.51405/ 21.1.3

المجلد 21 – العدد الأوّل – ص ص 55 – 91

تاريخ الاستلام: 2023/7/27

تاريخ القبول: 2023/10/23

ملخّص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن دوافع استحضار الشخصيّات في شعر هلال السيابيّ، وآليّات استدعائها من خلال ديوانه (أصداء من وادي عبقر)؛ فالمتمعّن في المنتج الشعريّ لهلال السيابيّ يجد ظاهرة استدعاء الشخصيّات حاضرةً بشكلٍ كبيرٍ؛ إذ تمتاز بالإضافة إلى كثرتها بتنوّع مصادرها وانتماءاتها وعوالمها، وتتنوّع كذلك من الناحيتين الزمانيّة والمكانيّة، وسعيًا لتقنين الدراسة وتأطيرها الدقيق؛ فقد اقتصرت على تناول دوافع الاستحضار، والوقوف على آليّات الاستدعاء بنوعيه: المباشر، وغير المباشر، إذ تناولت الدراسة ثلاث آليّات للاستدعاء المباشر: أولها الاستدعاء بالاسم، وثانيها الاستدعاء بالكنية، وآخرها الاستدعاء باللقب، وتناولت آليتين للاستدعاء غير المباشر: أولهما الاستدعاء بالقول (الخطاب)، وآخرهما الاستدعاء بالفعل (الدور).

وقد توسلتْ الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ مع الإفادة من نظريّتي التلقي والتأويل، واقتضت حيثيّاتها أن تنقسم إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة على النحو الآتي:

المحور الأول: دواعي استدعاء الشخصيّات ودوافعه في شعر السيابيّ.

المحور الثاني: آليّات الاستدعاء المباشر.

المحور الثالث: آليّات الاستدعاء غير المباشر.

الكلمات المفتاحيّة: هلال، السيابيّ، الشخصيّات، الدوافع، آليّات الاستدعاء.

- جميع الحقوق محفوظة للجمعيّة العلميّة لكلّيّات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتّحاد الجامعات العربيّة 2024.

* أستاذ النقد الأدبي المساعد، جامعة نزوى، سلطنة عمان.

المقدّمة:

شاعت في الشعر العربيّ الحديث ظاهرة تسخير الشخصيّات التراثيّة واتخاذها قناعًا للتعبير عن التجارب الشعريّة الحاضرة، لِما في هذه الشخصيّات من قوةٍ رمزيّةٍ وإيحائيّةٍ، فاستدعاء الشخصيّات التراثيّة يستدعي بعث الماضي في الحاضر، وتكثيف الزمن الممتد في لحظة الإبداع، والاستدعاء للشخصيّات يصل الأجيال الراهنة بجذورها السابقة.

ويغترف الشاعر المعاصر من محيط كبير زاخر بجواهر التراث المتنوعة، وهذه الجواهر متاحةٌ له دون مشقةٍ ولا عناء، وما على الشاعر إلّا أنْ يُحسن سبك هذه الجواهر في قلائد شعره لتزدان بها شكلًا ومضمونًا.

وتعد الشخصيَّات التراثيّة من أهم الجواهر التي استطاع الشاعر المعاصر صياغتها في قلائد شعره، لما تحويه من معطيات التاريخ، ودلالات التراث؛ ولهذا استدعى الشاعر الحديث الشخصيّات التراثيّة ووظّفها في نصه؛ إذ إنّ الاتكاء على ما تفجره الشخصيّات التراثيّة من مشاعر ودلالات تنمي القدرة الإيحائيّة للقصيدة بما تتيحه للشاعر من عوالم دلاليّة واسعة للتعبير سواء أكانت ظاهرةً أم خفيّةً، وبما تتيحه للمتلقي من فضاءاتٍ رحبةٍ للتأويل والتفسير.

وقد لجأ كثيرٌ من الشعراء، منذ بدايات عصر النهضة، إلى التعبير عن شخصيّات تراثيّة كثيرة من أجل إحياء التراث؛ إلّا أنّ الشاعر المعاصر قد تخطّى مرحلة التعبير عن الشخصيّات إلى مرحلة التعبير بالشخصيات، إذ «يقوم الشاعر باستلهام الحدث التاريخيّ والشخصيّات التاريخيّة بغية توظيفها في بنية النص، بما تحمله من دلالات وإشارات تتيح للشاعر والمتلقي الاتكاء على ما تفجره الشخصيّات التاريخية، أو الموقف التاريخيّ من مشاعر ودلالات تنمي القدرة الإيحائية للقصيدة»[1].

وقد مرّ الالتفات إلى الماضي في الإبداع العربيّ بمرحلتين اثنتين: الأولى «مرحلة التعبير عن الموروث» وفيها اقتصر دور الشاعر «على مجرد نقل العناصر التي يتعامل معها من عناصر التراث كما هي، دون محاولة لاستغلال العنصر الشامل والمستمر في دلالة

هـذه العنـاصر التراثيـة عـن مواقـف وتجـارب معـاصرة تتفـق في دلالتهـا الشـاملة مـع هـذه العنـاصر التراثيـة»[2] وهـذه المرحلـة يمثلهـا شـعراء مدرسـة الإحيـاء حيـث نجدهـم يسـتحضرون جملـة مـن الأحـداث والقصـص والشـخصيات لعـرض تاريخهـا وآثارهـا كـما هـي، دون توظيـف يعـبر عـن الرؤيـا الداخليـة للشـاعر، وهـذا مـا نجـده في قصائـد المديح النبـوي لأحمـد شـوقي ومنظومتـه التاريخيـة «دول العـرب وعظـماء الإسـلام» وعمريّـة حافـظ، وعلويـة محمـد عبـد المطلـب وكذلـك نجـده عنـد الشـاعر هـلال السـيابيّ في جملـة مـن قصائـده مثـل قصيـدة (عُـمان في موكـب التاريـخ)[3].

أمـا الثانيـة فهـي مرحلـة «التعبـير بالمـوروث» وفيهـا «لم يقتـصر الشـعراء عـلى نظـم العنـاصر التراثيـة، التـي يتعاملـون معهـا، وسرد مضمونهـا سردا تقريريـا، والحـرص عـلى نقـل هـذه العنـاصر بـكل ملامحهـا التراثيـة، وإنمـا تجـاوزوا ذلـك إلى توظيـف هـذه العنـاصر توظيفـا فنيـا في التعبـير عـن أشـد همـوم الإنسـان المعـاصر وقضاياه»[4] وهـذا مـا نجـده في قصيـدة «السـندباد في رحلتـه الثامنـة» لخليـل حـاوي، وقصيـدة الخـروج لصـلاح عبـد الصبـور، ونجـده عنـد هـلال السـيابي في جملـة مـن قصائـده مثـل قصيـدة (ذكـرى الأندلـس وشـاعرها ابـن زيـدون)[5].

إنّ المـوروث التاريخـيّ الإنسـانيّ بشـكلٍ عـامٍ والعـربيّ بشـكلٍ خـاصٍ زاخـرٌ بالأحـداث والشـخصيّات الفاعلـة التـي يسـتطيع الشـاعر توظيفهـا في إبداعـه الشـعريّ، فهـي حـاضرةٌ في ذهـن المتلقـي، مرتسـمةٌ في خيالـه، محملـةٌ بالـدلالات الرمزيّـة التـي نشـأت في ذاكـرة التكويـن الثقـافيّ والنفـسيّ والعاطفـيّ للمتلقـي؛ إذ يحـاول الشـاعر «اسـتيعاب التاريـخ كلّـه مـن منظـور عـصره، وفكـرة الإنسـان كـما نعـرف فكـرةٌ مرنـةٌ متنقلـةٌ، وميـزة المعـاصر دائمًـا في هـذا الصـدد، أنّـه يسـتطيع الإفـادة مـن الخـبرات الماضيـة في تشـكيل المفاهيـم الجديـدة»[6].

لقـد أصبـح الشـاعر الحديـث عـلى وعـيٍ تـامٍّ بأنّـه يمـارس مـع المـوروث نوعًـا خاصًّـا مـن العلاقـة تختلـف مـن حيـث الغايـة والبواعـث عـن تلـك العلاقـة التـي كان يمارسـها الشـعراء السـابقون منـذ بدايـة عـصر النهضـة، فـما عـاد الشـاعر الحديـث «يعـبر عـن

التراث» بل «يعبر بالتراث»؛ إذ يرى أنّ «الموروث لا يعني أنْ يكون أدب الحاضر امتدادًا للماضي، بل فيضانًا لأخصب أنهاره من خلال التاريخ»[7].

ولهذا لم تعد عودة الشاعر إلى الأحداث التاريخيّة غايةً في حد ذاتها، بل إنّ عودته أصبحت وسيلةً ينطلق منها للدخول إلى قضايا عصره؛ فقد «حاول الشاعر المعاصر أن يعيد النظر إلى هذا التراث الإنسانيّ في ضوء العصريّة؛ لتقدير ما فيه من قيمٍ ذاتيّةٍ باقيةٍ، روحيّةٍ وإنسانيّةٍ، وتطوير الرابطة بين الحاضر والتراث عن طريق استلهام مواقفه الروحيّة والإنسانيّة في إبداعنا العصريّ»[8].

والمتمعّن في المنتج الشعريّ لهلال السيابيّ يجد ظاهرة استدعاء الشخصيّات حاضرةً بشكلٍ كبيرٍ، وتمتاز بالإضافة إلى كثرتها بتنوّع مصادرها وانتماءاتها وعوالمها، وتتنوّع كذلك من الناحيتين الزمانيّة والمكانيّة، ومهما حاولنا تصنيف الشخصيّات التي استدعاها السيابيّ إلى تاريخيّة ودينيّة وأدبيّة وأسطوريّة وشعبيّة، فإنها بالضرورة تبقى تراثيّة أو معاصرة، فالشخصيّة الدينيّة أو السياسيّة أو الأدبيّة تكون بالضرورة تراثيّة أو معاصرة.

ويبدو أنّ استدعاء السيابي المكثّف للشخصيات التراثيّة في شعره ليس لغايةٍ فنيّةٍ صرفةٍ، بل كان محاولةً للهروب من الحاضر الباعث للخزيّ والذّل والصغار بعيوب الهزيمة، وطلب العون والقوة والنصر من الماضي رمز العزة والكرامة، وكأنه يحاول من هذا استدعاء عقد مقارنةٍ بين ظلاميّة الحاضر وإشراقة الماضي.

هذا الاستدعاء المكثّف للشخصيّات، وهذا التنوّع في مصادرها وأزمنتها وأمكنتها، وفي طرائق استدعائها لم يلتفت إليه الدارسون في شعر هلال السيابي، ومن هنا نأمل لهذه الدراسة الجدة والطرافة، وقد انبثقت في ذهننا جملةٌ من الأسئلة شكّلت مجتمعة إشكاليّة دراستنا؛ فلنا أن نتساءل عن دواعي استدعاء الشخصيّات في شعر السيابي وعن دوافعه، وعن أنواع الاستدعاء وآليّات توظيفه المباشرة وغير المباشرة، وللإجابة عن ذلك سنتناول نماذج من شعر هلال السيابيّ[9] المنشور في ديوانه (أصداء من وادي عبقر).

المحور الأول: دواعي استدعاء الشخصيّات ودوافعه في شعر السيابي

لا يُتصوّر على الإطلاق أن تكون عمليّة استدعاء الشخصيّات في النص الشعريّ بلا أسبابٍ وبلا دوافع، فعلى الرغم من أنّ هذا الاستدعاء قد يكون بقصدٍ وقد يكون بدون قصدٍ فلا بدّ من وجود دوافع في الحالتين، فإن سلمنا بوجود الدوافع في حالة القصد إلى الاستدعاء فكيف يكون الأمر في حالة عدم القصد إليه؟! إن هناك دوافع غير مباشرة تكون كامنةً في دواخل المبدع ومنطوية في أعماقه جعلته لاإراديًّا بدون أنْ يشعر يستدعي شخصيّات بعينها في نصه.

هناك دوافع فنيّة جعلت هلال السيابيّ يستدعي الشخصيّات عامةً والتراثيّة منها خاصةً في شعره؛ إذ يجد في الشخصيّات التاريخيّة رموزًا للتعبير عن تجربته الشعريّة، ومعادلًا موضوعيًّا لواقعه وحاضره، فالشخصيّة التراثيّة أصبحت في الشعر العربيّ المعاصر «وسيلة تعبير وإيحاء في يد الشاعر يُعبّر من خلالها ـ أو يعبر بها ـ عن رؤياه المعاصرة»[10] فهو حين يستدعي تلك الشخصيّات يستحضر معها ما تحمله من أبعاد نفسيّة وروحيّة.

إنّ الدلالة الرمزيّة التي تحملها بعض الشخصيّات المشهورة سهلتْ على هلال السيابيّ إيصال فكرته إلى المتلقي؛ ليستحضر في ذاكرته من الأحداث ما يطول شرحها، وقد حاول السيابيّ من خلال تلك الاستدعاءات اختصار المسافات؛ إذ إنّ ذلك لا يتحقق في النص الشعريّ إلا بتوظيف الشخصيّات المستدعاة توظيفًا مناسبًا، وتزداد فنية استدعاء الشخصيّات عندما يوظف المبدع موقفًا لشخصيّة ما في موقف مناقض له، قد يكون تحسرًا أو استنهاضًا أو سخريةً، ولكي يضطلع الاستدعاء بوظيفته في النص ينبغي ألّا يغفل الشاعر صورة الشخصيّة المستدعاة في ذهن المتلقي.

ويبدو جليًا أنّ السيابي كان على وعي تامٍّ بصورة شخصيّة أبي القاسم الشابيّ في ذهن المتلقي؛ لهذا استدعى هذه الشخصيّة بالذّات في قصيدته (تونس) إذ تمثّل رمزًا تونسيًّا حاضرًا في ذاكرة المتلقي العربيّ، فهو من الشخصيّات الأدبيّة التي تمثل معادلًا موضوعيًا لكلّ دعوات الحريّة، فكان استدعاء الشخصيّة في هذا الإطار إذ يقول [الخفيف][11]:

يا أبا القاسِمِ الأبيَّ سلامًا كم تدوي وتبعثُ الكبراءَ
شعركَ الغرد صرخةٌ في سبيلِ الـ مجد صارتْ ملءَ الزمانِ نداءَ
باركتْ شعركَ العلاء ورفّ الـ مجد فيه قصائدًا عصماءَ
ولتعشْ تونُسُ العزيزةُ رمزًا للمعالي وقلعةً شمّاءَ

ومن دوافع استدعاء الشخصيّات تقارب المواقف، فقد يتعرض الشاعر لموقفٍ ما يجعله في كثيرٍ من الأحيان يستحضر شخصيّات تعرضتْ لمواقف مشابهةٍ للموقف الذي مرّ به، فربما وجد فيها قدوةً أو تعزيةً أو مواساةً لحالته المشابهة، وهذا الأمر لا يقتصر على الشاعر فحسب، بل يشمل الناس عامةً، إلّا أنّ الشاعر يوظف كلّ ذلك في شعره.

وقد استدعى هلال السيابيّ شخصيّاتٍ ماضيةً تذكره بالشخصيّة الحاضرة التي يتناولها، ويحصل هذا كثيراً في قصائد المدح والرثاء، ففي رثائه للشيخ سالم بن هلال الخليليّ استدعى جملةً من الشخصيّات التي سبقته إلى الدار الآخرة، والرابط المشترك بين هذه الشخصيّات هو المكان إذ استدعى شخصيّات سمائليّة[12] كالإمام محمد بن عبد الله الخليلي، والشيخ على بن عبد الله الخليليّ وولديه، والشيخ خلفان بن جميّل السيابيّ، والشيخ أبا عبيد السُليميّ، ويستدعي كذلك شخصيّة أبيه الشيخ سالم بن حمود السيابيّ؛ إذ يقول مخاطبًا سمائل [الكامل][13]:

نارتْ سماؤكِ بالنجوم وأشرقت بفخار كلِّ غضنفر رئبالِ
من كالخليليِّ الإمامِ المرتضى خير الخيار وسيد الأبدال
وأخيه مجتمعِ المكارم والعلا وابني أخيه السادة الأقيالِ
أو كالرضي خلفان نجل جميّل بحر العلوم ومضرب الأمثالِ
وأبي عبيد مرجع الفتوى ومن هو في المعارف كالشهاب العالي
وأبي ومن كأبي حسامِ كريهة وفرند كل عظيمة معضالِ

وتعـدُّ الدوافـع الفنيّـة مـن أهـم الأسـباب التـي دفعـت الشـاعر إلى اسـتدعاء الشـخصيّات التراثيّـة فقـد "تطلّـع الشـاعر العـربي إلى إثـراء تجربتـه الشـعريّة وتطويرهـا وتعميقهـا فنّيًّـا، ذلـك بمـا أتاحتـه لـه الشـخصيّات الإسـلاميّة التراثيّـة مـن قـدرة عـلى الإيحاء والتأثير من استلهامها كجزءٍ مهمٍّ من العناصر التراثيّة"[14].

تتعـدد أنمـاط توظيـف الشـخصيّة وتتنـوع مـا بـين توظيفهـا عنـصرًا في صـورةٍ جزئيّـةٍ عابـرةٍ، وتوظيفهـا مقابـلًا تراثيًّـا موضوعيًّـا لبعـدٍ مـن أبعـاد تجربـة متعـددة الأبعـاد تشـتمل عليهـا قصيـدة واحـدة، وتوظيفهـا إطـارًا كليّـا لقصيـدة بحيـث تكـون الشـخصيّة محـور القصيـدة الـذي تـدور حولـه كلّ عناصرهـا ومكوناتهـا الأخـرى، فالشـخصية تصبـح رمـزًا "يمتـدّ عـلى مسـاحة القصيـدة، ويتجـدد ظهـوره عـبر مقاطعهـا بدّالـه اللفظـيّ أو بدلالتـه الإيحائيّـة، فهـو يعمـل بطريقـة مـا عـلى تماسـك وحدتهـا، وكليّـة بنيتهـا، ويمثّـل البـؤرة التـي تفجـر الدلالـة، وتولّـد الشـعور في القصيـدة"[15].

وتكمـن فنيّـة هـذا الاسـتدعاء في تعـدد أصواتهـا إذ تكشـف الشـخصيّة المحـور عـن ثلاثـة أصـوات في القصيـدة "أمـا الصـوت الأول؛ فصـوت الشـاعر يتحـدث إلى نفسـه أو إلى غـيره، وأمـا الصـوت الثـاني فصـوت الشـاعر يخاطـب مسـتمعين، سـواء أكانـوا كـثرة أم قلـة، وأمـا الصـوت الثالـث؛ فصـوت الشـاعر عندمـا يحـاول يبتكـر شـخصيّة مسرحيّـة تتحـدث شـعرا عندمـا يقـول لا مـا هـو خليـق بشـخصه الخـاص"[16] وقـد جعـل السـيابيّ الشـخصيات التراثيـة الكـبرى محـورًا لقصائـده، ولسـانًا لأفـكاره ورؤاه ومـن تلـك الشـخصيّات: ابـن زيـدون، وجـمال الديـن الأفغـاني، وبسـمارك، ونابليـون، وجـمال عبدالنـاصر، والإمـام الصلـت بـن مالـك، والإمـام سـلطان بـن سـيف الثـاني، والإمـام أحمـد بـن سـعيد البوسـعيدي، وغيرهـا مـن الشـخصيّات.

وقـد تكـون الشـخصيّة التراثيّـة (محـور القصيـدة) التـي اسـتدعاها السـيابيّ مـن المـاضي متنفسًـا يبـثّ إليهـا آلامـه مـن الحـاضر ومـن ذلـك شـكواه إلى ابـن زيـدون قائـلًا [البسـيط][17]:

أبا الوليد ألا ترثي لحالتنا وكلّ ألسنِ ذاك المجد ترثينا

هذي فلسطينُ لم ترقأ مدامعها لطول ما قد أُصيبت من تمادينا

مآذن المسجد الأقصى تؤرّقنا وقبّة الصخرةِ الغراء تبكينا

ويبدو جليًّا أنّ مرارة الحاضر دفعت الشاعر إلى استدعاء الشخصيّة التراثيّة، فهذا الاستدعاء يمثّل «محاولة لقراءة واقعنا العربيّ لنعرف من خلال هذه المقارنة بين الماضي والحاضر مقدار الخلل الذي أصاب الأمة في حاضرها وما يمكن استلهامه من تجارب الماضي حلولًا لمشاكله المشابهة لمشاكل الأجداد»[18] هكذا اتخذ السيابيّ شخصيّة ابن زيدون محورًا تدور حوله قصيدته؛ ليعبر من خلال هذه الشخصيّة التراثيّة الأندلسيّة التي شهدت أمجاد الماضي عن مرارة الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلاميّة في حاضرها.

وقد يدفع إعجاب المبدع بشخصيّةٍ ما إلى استدعائها في إبداعه، وهذا ما نلمسه في شعر السيابيّ؛ إذ دفعه إعجابه برئيس وزراء المملكة المتحدة (ونستون تشرشل ـ ت 1965م) إلى استدعائه واتخاذه محورًا لقصيدته؛ إذ يصرّح السيابيّ بهذا الإعجاب على الرغم من اختلاف الملة والعرق بينه وبين الشخصيّة المستدعاة فيقول [الطويل][19]:

عجبتُ ولي قلبٌ بمثلكَ يُعجبُ فتى المجد لو ناءاك دينٌ ومذهبُ

ويكرّس السيابيّ إعجابه بشخصيّة (ونستون تشرشل) على الرغم من اختلاف العرق إذ يقول:

أكاد إليهم أنتمي بفصيلتي ولو لم يكن بيني وبينهم أبُ

فإنّ المعالي عرقُ مجدٍ ومحتدٍ إليه جميع الشهب تُنمى وتنسبُ

ويبيّن السيابي أسباب إعجابه بهذه الشخصيّة قائلا:

تشرشلُ إنّ المجد من نفحة السما يمورُ بها نجمٌ ويُشرق كوكبُ

طلعتَ بدنيا الإنجليزِ فأشرقتْ سماؤهمُ، وارتاعَ شرقٌ ومغربُ

لا شكّ في أنّ شخصيّة (ونستون تشرشل) لا تمتُّ إلى السيابيّ بصلة من الناحية الدينيّة ولا العرقيّة؛ إلّا أنّه وجد في هذه الشخصيّة ما يثير إعجابه بها، وبغض النظر إنْ كانت هذه الشخصيّة تستحق كلّ هذا الإعجاب فقد فكان هذا الإعجاب الدافع الأساس الذي جعل الشاعر يتّخذ من هذه الشخصيّة محورًا لقصيدةٍ تزيد عن ستين بيتًا.

ومن دوافع استدعاء الشخصيّات في شعر السيابيّ وجود تقاربٍ بين تجربته وتجربة الشخصيّة المستدعاة ولا شكّ في «أنّ المبدع وهو يشتغل على تجربة شخصيّة سابقة أنّه ينتقي منها ويختار ما يتواءم مع تجربته من جهة، ويبحث فيها عن ذاته من جهة أخرى»[20] فمن دوافع الاستدعاء تشابه المواقف، إذ يستدعي الشاعر شخصيّةً اضطلعت بموقف ما في الماضي في موقف مشابهٍ حصل في الحاضر، وقد يكون الاستدعاء في الموقف المقارب أو حتى المناقض، ولا يتسع المقام لذكر نماذج على كل ذلك إلّا أنّها ستتكشّف في ثنايا المحاور التالية من البحث.

المحور الثاني: آليّات الاستدعاء المباشر.

لا يجد المطلع على شعر هلال السيابيّ كبير عناءٍ في إدراك كثافة استدعاء الشخصيّات في شعره وتنوع مصادره، إذ تنوّعت هذه المصادر بين الدينيّة، والسياسيّة، والعسكريّة، والتاريخيّة، والأدبيّة، ولا شكّ في أنّ تنوّع مصادر استدعاء الشخصيّات في شعر السيابيّ يدل على سعة ثقافته من ناحية، وتنوّعها من ناحية أخرى.

يشكل استدعاء الشخصيّات مصدرًا مهمًّا من المصادر التي استفاد منها هلال السيابيّ في مدّ تجربته الشعريّة بروحانيّةٍ خاصةٍ، وإعطائها صفة البقاء والديمومة، وذلك لما تشكّله الشخصيّات بمختلف مصادرها من حضورٍ قويٍّ عند عامة الناس وخاصتهم، وإنْ تفاوتت درجات الحضور بتفاوت المشارب الثقافيّة فإنّ لاستدعاء الشخصيّات قوةً تأثيريّةً عظيمةً في المتلقي.

حين يستدعي الشاعر شخصية تراثية فإنه لا يوظف من ملامحها إلا ما يتلاءم مع طبيعة التجربة التي يريد التعبير عنها من خلال الشخصية المستدعاة، وبذلك

يـؤوّل الشـاعر هـذه الملامـح التأويـل الـذي يلائـم تجربتـه الشـعريّة قبـل أن يسـقط عليهـا الأبعـاد المعـاصرة[21].

وتمـرّ عمليّـة توظيـف الشـخصيّة التراثيّـة حسـب عـلي عـشري زايـد بمراحـل ثـلاث: أُولاهـا اختيـار مـا يناسـب تجربـة الشـاعر مـن ملامـح هـذه الشـخصيّة، وثانيتهـا تأويـل هـذه الملامـح تأويـلًا خاصًـا يلائـم طبيعـة التجربـة، وآخرهـا إضفـاء الأبعـاد المعـاصرة لتجربـة الشـاعر عـلى هـذه الملامـح، أو التعبـير عـن هـذه الأبعـاد المعـاصرة مـن خـلال هـذه الملامـح بعـد تأويلهـا[22]، وحـين يسـتدعي الشـاعر شـخصيةً تراثيـة فإنّـه لا يسـتدعي صوتهـا فحسـب بـل يسـتدعي معهـا الذاكـرة التراثيـة التـي اضطلعـت بتقييـم تلـك الشـخصية، وجعلتهـا في موضعهـا مـن الذاكـرة الجمعيـة؛ فالمبـدع في تعاملـه مـع الـتراث لا يكتفـي بالملامسـة، بـل «يتلبّـس الـتراث ويعيشـه ويعتنـق كثـيراً مـن رؤاه»[23].

ولا يقتـصر اسـتدعاء الشـخصيّات عـلى وجودهـا في سـياقٍ زمنـيٍّ معـيّنٍ بـل يتعـدى إلى «محاولـة إعـادة صياغتهـا في القصيـدة، ودمـج تلـك الشـخصيّات في زمـن الشـاعر الـذي اسـتعارها واختارهـا قناعًـا يتخفّـى مـن ورائـه»[24] ولهـذا تتنـوّع الشـخصيّات التـي يسـتدعيها الشـاعر، ويـزداد هـذا التنـوّع عـلى حسـب سـعة الحمولـة المعرفيّـة وتنـوّع المشـارب الثقافيّـة، إلّا أنّ المبـدع لحظـة إبداعـه قـد لا يكـون واعيًـا بعمليّـة الاسـتدعاء التـي قـام بهـا، فهـي عمليّـةٌ لا تكـون منظمـةً دائمًـا، بـل قـد تكـون بغـير قصـدٍ أحيانًـا؛ إذ يلجـأ إليهـا الشـاعر عندمـا يـرى بينهـا وبـين موضوعـه وشـيجةً قـد لا يفطـن إليهـا هـو ذاتـه لحظـة الإبـداع؛ ولكنّـه يسـتحضرها عنـد التقائهـا بفكـرة نصـه فيدخلهـا في النـص ليدعـم رؤيـاه بـرؤى غيريّـة[25].

ولقـد ضمـن هـلال السـيابيّ خطابـه الشـعريّ الكثـير مـن الشـخصيّات المتنوعـة في أزمنتهـا وأمكنتهـا، المتباينـة في مصادرهـا وحقولهـا فمنهـا الدينيّـة والسياسـيّة، والتاريخيّـة والأدبيّـة، ومنهـا العربيّـة والغربيّـة، ومنهـا القديمـة والمعـاصرة، وقـد تحقـق الاسـتدعاء المبـاشر للشـخصيّات في شـعر هـلال السـيابيّ بوسـائل ثـلاث: أُولاهـا الاسـتدعاء بالاسـم، وثانيتهـا الاسـتدعاء بالكنيـة، وآخرهـا الاسـتدعاء باللقـب.

أولًا ـ استدعاء الشخصية بالاسم:

إنّ استدعاء الشخصيّات بالاسم لا يخلو من مجازفةٍ في بعض الأحيان؛ ذلك أنّ الذين يسمون باسمٍ واحدٍ كثيرون فيقع الالتباس؛ إذ إنّ المئات من الأشخاص يحملون اسم (عليّ) وقد يحدد باللقب (سيف الله) أو بالكنية (أبو الحسن)، ولكن هذا التحديد لا يجدي أيضا، إذ كلّ (عليّ) يُكنى بأبي الحسن أو الحسين في العُرف، وكثير من الناس قد يلقبون بـ (سيف الله)، ومع ذلك فإن الكنية واللقب يضيقان من اتّساع الاسم؛ لكونهما وصفين محددين فهما خطوةٌ أولى للتمييز بين أسماء الأعلام، وهناك أوصاف ومقومات أخرى يمكن من خلالها التمييز بين علم وآخر[26].

ولا يحيل الاسم في حد ذاته على الشخصيّة لكثرة من يحمل الاسم ذاته؛ ولذلك ينبغي علينا النظر إلى الأوصاف والمقوّمات الأخرى التي من خلالها نستطيع تحديد الشخصيّة التي استدعاها الشاعر في نصه، وهذا ما نجده في شعر هلال السيابيّ عندما يستحضر الشخصيّةً باسم العلم فإنه يشير إليها ـ غالبًا ـ من خلال بعض المقوّمات التي نستطيع بها تميزها عن غيرها.

وقد استدعى السيابيّ شخصيّاتٍ كثيرةً باسم العلم لسنا في مقام حصرها ومن ذلك شخصيّة القائد العسكريّ (عيسى بن جعفر) إذ يقول [الخفيف][27]:

وأتانا عيسى بن جعفر بالجيـ	ـشِ على عهده فكان اللقاء
وإذا بابن جعفر في الأسارى	ثم يحتزُّ رأسه الجهلاء
ليس قتل الأسير من خُلق قومي	أبدًا بل يُكرّمُ الأسراءُ

إن الاستدعاء الصريح لاسم العلم (عيسى بن جعفر) لا يحيل مباشرةً على شخصيّةٍ محددةٍ؛ إذ يُطلق هذا الاسم على الكثير من الناس، إلّا أنّ الشاعر لجأ إلى تضييق اتساع اسم العلم بذكر بعض المقوّمات التي تحدد لنا الشخصيّة المقصودة من خلال قوله: (أتانا ... بجيش) و(في الأسرى) و(احتزّ رأسه الجهلاء) فهذا المقوّمات

مجتمعة أسهمت في جعل اسم العلم لا يحيل إلّا على شخصيّة واحدة فقط هي شخصيّة القائد العباسي (عيسى بن جعفر) ابن عم هارون الرشيد، إذ "بعثه هارون إلى عُمان عاملًا عليها في ستة آلاف مقاتل فيهم ألف فارس وخمسة آلاف راجل"[28] إلّا أنّ حملته على عُمان باءت بالفشل؛ إذ هُزم جيشه وتمكن العمانيّون من أسره، وقد أمسك (الإمام الوارث بن كعب الخروصيّ ت 192هـ)[29] عن قتله وأودعه السجن؛ إلّا أنّ مجموعةً من المتحمسين رأوا ضرورة قتله فاقتحموا السجن وقتلوه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ استدعاء شخصيّة (عيسى بن جعفر) أضاف إلى نصّ السيابيّ قيمةً توثيقيّة للتاريخ الإسلاميّ عامةً والعمانيّ خاصةً، إذ إنّ استدعاء الشخصيّات التاريخيّة "يجعل النصّ ذا قيمة توثيقيّة، ويكتسب بحضورها دليلا محكمًا، وبرهانًا مفحمًا على كبرياء الأمة التليد، وحاضرها المجيد، أو حالات انكسارها الحضاري، ومدى انعكاسه على الواقع المعاصر"[30] فلا شكّ في أنّ استدعاء شخصيّة (عيسى بن جعفر) في نص هلال السيابيّ هو كذلك استدعاء لسلسلةٍ من الأحداث التاريخيّة المرتبطة بها.

ومن الشخصيّات السياسيّة العمانيّة التي استدعاها هلال السيابي بالاسم شخصيّة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيديّ إذ يقول [الخفيف][31]:

فأتى الليثُ أحمد بن سعيد ... علمًا في خيوله خُيلاءُ

فارسٌ أنقذ البلادَ وقد كا ... دتْ تهاوى بركنها الشحناءُ

نازل الفرس بعدما ملأوا الدا ... رَ غثاءً فزال عنا الغُثاءُ

لقد استدعى السيابيّ شخصيّة (أحمد بن سعيد) بالاسم مجرّدًا من اللقب السياسيّ (الإمام)، ويبدو هذا الاستدعاء ظاهريًا ضربًا من المجازفة؛ إذ لا يحيل مباشرةً على شخصيّةٍ محددةٍ حتى لو نُسب الاسم إلى أبيه؛ لكثرة الذين يحملون الاسم ذاته؛ لهذا لجأ الشاعر إلى تضييق اتساع الاسم بذكر بعض المقوّمات (أنقذ البلاد، نازل الفرس) إضافة إلى موضوع القصيدة الذي يتعلّق بالتاريخ العمانيّ، فهذه

المقوّمات أسهمت في توجيه ذهن المتلقي إلى شخصيّة (الإمام أحمد بن سعيد البوسعيديّ ت 1196هـ) مؤسس الدولة البوسعيديّة، إلّا أنّ حضور الشخصيّة المستدعاة يبقى أكبر في ذهن المتلقي العمانيّ؛ وقد لا يكون حاضرًا في ذهن المتلقين الآخرين في الأقاليم العربيّة الأخرى.

ويبقى التساؤل قائمًا عن سبب اكتفاء السيابيّ باستدعاء شخصيّة (أحمد بن سعيد) باسم العلم مجرّدًا من اللقب السياسيّ: أكان ذلك بسبب مراعاة الوزن أم مراعاةً لجوانب أخرى؟ فبالنظر في وزن القصيدة يظهر جليًا أنّ استبدال كلمة (الليث) بكلمة (الإمام) يحدث خللًا في الوزن، ولهذا نستبعد أن يكون تجريد الشاعر اسم العلم من لقبه من منطلق نفي الإمامة عن شخصيّة أحمد بن سعيد على الرغم من وجود هذا التوجه عند بعض العلماء السابقين «غير أنّ اسم الإمامة ثبت له عند الخاص والعام اسمًا دون حكم فأولاده يُقال لهم أولاد الإمام»[32].

وليضطلع استدعاء الشخصيّة بدوره في النصّ لا يكفي أنْ تكون الشخصيّة المستدعاة حاضرةً في ذهن الشاعر فحسب، بل لا بدّ أنْ تكون حاضرةً في ذهن المتلقي، وهذا الحضور ينبغي أنْ يكون كما رسمه الشاعر وإلّا لن يضّطلع الاستدعاء بدوره الفنيّ والدلاليّ الذي توخاه الشاعر لحظة الإبداع، ولا شكّ في أنّ المتلقين يتفاوتون في مشاربهم الفكريّة والثقافيّة، وقد تختلف درجات حضور الشخصيّة المستدعاة باختلاف الجغرافيا، فاسم العلم الحاضر في ذهن المتلقي العمانيّ قد لا يكون حاضرًا في ذهن غيره؛ خاصة إذا كان الاستدعاء باسم العلم فقط كما في قول السيابيّ [البسيط][33]:

فثمّ صرح الهدى أعلاه مازنُه ... والوحي غضٌّ وملء الكون أوثانُ
فإنْ تباهت ديارٌ بالغنى وسمتْ ... فالإرث من مازنٍ فضلٌ وإيمانُ
وإنْ تباهتْ بأركانٍ ممنعةٍ ... ففي سمائل للإسلام أركانُ

يستدعي السيابيّ شخصيّة الصحابيّ مازن بن غضوبة السعديّ[34] ـ رضي الله عنه ـ إلّا أنّ هذا الاستدعاء جاء باسم العلم (مازن) فقط، وقد تكون هذه الشخصيّة

حاضرةً في ذهن المتلقي المسلم لو استدعاها الشاعر بإضافة اسم الأب (غضوبة)؛ فعلى الرغم من محاولة الشاعر تضييق اتساع دلالة اسم العلم (مازن) بذكر موطنه (سمائل) فإنّ تضييق الدلالة قد يتحقق ـ غالبًا ـ في ذهن المتلقي العمانيّ دون غيره، فلا يُتصوّر أنْ يضطلع ذكر وطن الشخصيّة المستدعاة (سمائل) بدوره في تضييق الدلالة عند المتلقين من خارج الإقليم العمانيّ؛ ولهذا يظلّ اسم العلم (مازن) مبهمًا عند فئةٍ كبيرةٍ من المتلقين؛ بسبب آليّة الاستدعاء التي وظفها الشاعر في هذا النصّ، وتجدر الإشارة إلى أنّ الشاعر استدعى شخصيّة مازن في شعره بآليّات متنوعة لا يتسع المقام لذكرها.

ثانيًا ـ استدعاء الشخصيّة بالكنية:

تسهم الكنية في تحديد الشخصيّة المستدعاة بعض الشيء؛ ولكن هذا التحديد لا يكفي، فالكنية كاسم العلم لا تحدد الشخصيّة المقصودة تحديدًا دقيقًا لكثرة من يشتركون في الكنية الواحدة؛ إذ يُطلق على الكثير من أسماء الأعلام الكنية ذاتها، فكل عليّ هو أبو الحسين وكل إبراهيم هو أبو الخليل وكلّ يحيى هو أبو زكريا فهذا متعارف عليه عند الناس غالبا.

وعلى الرغم من اتّساع دلالة الكنية فإنّها تسهم في تحديد دلالة اسم العلم خاصةً أنّ بعض الكنيات بلغت من الشهرة حدّ التفرّد؛ بحيث لا يشتبه في دلالتها أحدٌ والأمثلة على ذلك كثيرة كاشتهار جرير بأبي حرزة، وحبيب بن أوس الطائي بأبي تمام، والحسن بن هاني بأبي نواس، وإسماعيل بن القاسم بأبي العتاهية؛ ولكنّ هذا لا ينطبق على كلّ الكُنى؛ لذا يبقى التحديد بالكنية محدود الجدوى لكثرة الأشخاص الذين تطلق عليهم الكنية ذاتها.

ولقد استدعى هلال السيابي الكثير من الشخصيّات بالكنية وحدها تارة، ومع اسم العلم أو اللقب تارة أخرى، وهذا الاستدعاء الذي يكون بالكنية في شعره غالبا ما يكون لشخصيّاتٍ حاضرةٍ في ذهن المتلقي بكنيتها أكثر من اسمها، كما هو حال في استدعاء شخصيّة (ظالم بن سارق) إذ يقول [الخفيف][35]:

وعلى الراية الأجل أبو صفـ رة يزهو على يديه اللواء

وظّف السيابيّ الكنية في استدعاء شخصية الصحابيّ (ظالم بن سارق)[36] وهذه الشخصيّة مشهورةٌ بكنيتها لا يشتبه في دلالتها؛ إذ إنّها أكثر شهرةً بالكنية من اسم العلم، وبما أنّ اسم علم هذه الشخصيّة ليس واسع الدلالة ولا كثير الانتشار فإنّ الشاعر آثر الاستدعاء بالكنية؛ لأنها الأقرب إلى ذهن المتلقي، والكنية في هذا الاستدعاء دالةٌ وحدها ولا تحتاج إلى مقومات أخرى؛ إلّا أن الشاعر ذكر مقومات سياقيّة تحيل عليها (حمل الراية) وعزّز ذلك بالتصريح بأنّه والد المهلب إذ يقول في البيت الذي تلاه [الخفيف][37]:

إنّه والد المهلّب والليـ ثُ الذي ما له نظراءُ

ولا شكّ في أنّ استدعاء الشخصيّة بكنيتها المشهورة عند المتلقين من شأنه أنْ يرفع الإبهام عنها، إلّا أنّنا نجد في مواطن من شعر السيابيّ ترك الكنية المشهورة للشخصيّة والانصراف إلى الاستدعاء بكنية أخرى لم تحقق شهرةً عند المتلقين، كما هو الحال في استدعاء شخصيّة الشاعر العمانيّ ناصر بن سالم الرواحيّ البهلانيّ إذ يقول [البسيط][38]:

أبا المُهنّا سلامُ الله أرفعه إليكَ والقلبُ بالأشواق ملآنُ

اللهُ يشهدُ لم أقراكَ لو خلسًا إلّا وتيمني شوقٌ ووجدانُ

أشتاقُ رؤياكَ لو في غمضةٍ لأرى ما بالجلال إذا ما حلّه الشَّانُ

فعلى الرغم من أنّ للشاعر ناصر بن سالم الرواحي البهلاني ابنًا اسمه المهنّا؛ فقد اشتهر بكنية (أبي مسلم)؛ ولهذا فكنية (أبي المهنّا) لا تكون حاضرةً في ذهن المتلقي كحضور كنية (أبي مسلم)، ويبدو جليًّا أن الاستدعاء بالكنية في هذه الأبيات لم يضطلع بدوره في تحديد الشخصية المستدعاة، بل زادها إبهامًا؛ لوجود كنيةٍ أشهر، والذي زاد الإبهام أنّ السيابيّ لم يضيّق اتّساع الكنية بذكر الاسم؛ إذ لم يصرّح بالاسم في القصيدة كلها، ولولا استدعاء السيابيّ لبعض نصوص أبي مسلم في قصيدته لتعذّر

على المتلقي المختص معرفة الشخصيّة المستدعاة، فاستدعاء تلك النصوص كان المقوّم الرئيس لتضيق دلالة الكنية؛ ولولا ذلك لظل هذا الاستدعاء مبهمًا.

وإذا كانت النصوص المستدعاة في النموذج السابق قد أسهمت في تضييق دلالة الكنية؛ فإنّ جملةً من الشخصيّات التي استدعاها السيابيّ بالكنية ظلت مبهمةً لقلة المقوّمات التي تضيّق من اتّساع دلالاتها عند المتلقي، ومن ذلك قوله في قصيدة (ذكرى بني ميزاب) [الطويل][39]:

سلامٌ على بيّوضَ علّامةُ الهُدى ومن كأبي إسحاقَ في الفقهِ والضادِ
ومن قبلهم كم من أئمةِ أمّةٍ كمثلِ أبي يعقوبَ صفوةِ روّادِ
أتانا بإسنادِ الربيعِ مُهذّبًا فبزّ به الآتين قبلُ بإسنادِ
ومثل ابن بكرٍ وابن عمّار والأُلى تلوْهم بإيمانٍ متينٍ وإرشادِ

استدعى السيابيّ في الأبيات أربع شخصيّات بالكنية هي: أبو إسحاق، وأبو يعقوب، وابن بكر، وابن عمّار، إلّا أنّ هذا الاستدعاء يكتنفه الغموض؛ إذ لم تتفرّد بهذه الكنى شخصيّات دون غيرها، فهي ممّا يشترك فيه جملةٌ من الناس؛ ولكي يحقق هذا الاستدعاء غاياته لا بدّ من الاستعانة بمقوّمات أخرى تسهم في تضييق اتّساع دلالة هذه الكُنى، ومن هذه المقوّمات عنوان القصيدة (ذكرى بني ميزاب)؛ إذ يدل على أنّ أصحاب هذه الكنى من وادي ميزاب بالجزائر، ومن هنا يمكننا القول إنّ كنية أبي إسحاق في النص تعود إلى (الشيخ إبراهيم إطفيش ت 1965م)[40]، وما يدعم ذلك استدعاء شخصيّة الشيخ (بيّوض) في البيت ذاته إذ عاشا في عصرٍ واحد.

أما شخصية أبي يعقوب فتبدو من عنوان القصيدة شخصيّة ميزابيّة، وقد عمد الشاعر إلى تضييق دلالة الكنية باستدعاء الدور الذي اضطلعت به هذه الشخصيّة (أتانا بإسنادِ الربيعِ مُهذّبًا) فالشخصية الميزابيّة التي رتّبت مسند (الإمام الربيع بن حبيب)[41] هي شخصيّة يوسف بن إبراهيم بن ميّاد الوارجلاني[42]، ويبدو أنّ

الاستدعاء باللقب في هذا المقام يحقق حضورًا أكبر في ذهن المتلقي من الاستدعاء بالكنيّة، إلّا أنّ استدعاء هذه الشخصيّات لا يحقّق حضورًا كبيرًا في الأذهان؛ إذ تنحصر شهرتها على فئة محدودة من المتلقين.

ويبقى استدعاء شخصيتي (ابن بكر) و(ابن عمّار) مبهمًا؛ فالمقومات التي وردت في النص ضئيلة جدًا ولا تعين المتلقي على استحضارهما في ذهنه، وهنا تكمن إشكاليّة هذا النوع من الاستدعاء في شعر هلال السيابيّ، ويبدو أنّ (ابن بكر) هو (أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي، نسبة إلى فرسطا بجبل نفوسة ت 504هـ)، ونلتمس للسيابيّ العذر في عدّه من الشخصيّات الميزابيّة إذ إنّه انتقل للعيش في وادي أريغ ووارجلان بالجنوب الجزائريّ، أما (ابن عمار) فلعلّ السيابيّ قصد به أبا عمّار عبد الكافي بن يوسف الوارجلاني (ت قبل: 570هـ)، ومع هذا فلا بدّ من التأكيد على أنّ استدعاء شخصيتي (ابن بكر) و(ابن عمّار) يبقى مبهمًا خاصةً مع عدم كفاية المقوّمات الدالة عليهما في النص.

ثالثًا ـ استدعاء الشخصية باللقب:

يُعدّ استدعاء الشخصيّة باللقب من آليّات الاستدعاء المباشر؛ ويسهم الاستدعاء بهذه الآليّة في تضييق اتساع دلالة الشخصيّة إلى حدٍّ ما مقارنةً باستدعائها باسم العلم فقط، إلّا أن التحديد باللقب ليس له جدوى كبيرة في بعض الأحيان خاصةً عندما تتشابه الألقاب، فكلّ ملكٍ للفرس هو كسرى، وكلّ ملكٍ للروم هو قيصر، وكلّ خليفةٍ ابتداءً من عمر بن الخطاب هو أمير المؤمنين وغيرها من الألقاب التي تتشابه، ومع هذا فإنّ هناك ألقابًا ارتبطت بشخصيّةٍ واحدةٍ دون غيرها، وفي هذه الحالة يصبح للاستدعاء باللقب جدوى في تحديد الشخصيّة المقصودة، وتزيد الجدوى كلّما كان الاستدعاء باللقب مصحوبًا باسم العلم أو الكنية فيكون تحديد الشخصيّة أكثر دقةً.

ولقد استدعى هلال السيابيّ عددًا من الشخصيّات بهذه الآليّة، وفي هذا النوع من الاستدعاء يلجأ ـ غالبًا ـ إلى الألقاب التي اشتهرت عند الناس؛ بحيث تكون

حاضرةً في ذاكرة المتلقي فلا تواجهه صعوبةٌ ولا التباسٌ في تحديد الشخصيّة المستدعاة.

ومن الشخصيّات التي استدعاها هلال السيابيّ بآليّة اللقب مجردًا من اسم العلم والكنية (المهلهل) وذلك في قصيدته (مرافعة) إذ يقول [الكامل][43]:

أتراه قد عَلُق الغرامَ متيّما ... أم أنّه صاغَ البيانَ فأحكما

هزّتهُ من ماء السماءِ مخيلةٌ ... ودعاهُ من ركبِ المهلهلِ منتمى

فمضى يناغي الزهر في روضاته ... ويطارح الورق المشوق مرنِّما

لا يخامر متلقي هذا النص أدنى شكٍّ في أنّ هلال السيابيّ قصد بـ (المهلهل) الشاعر العربيّ عديّ بن ربيعة بن الحارث التغلبيّ وهو أخو كليب، فلا يوجد أيّ احتمالٍ أن يكون المقصود غيره؛ إذ لم يحمل هذا اللقبَ سواه، وهو لقبٌ حاضرٌ في الذاكرة الجمعيّة للمتلقين؛ ولهذا كان الاستدعاء باللقب أجدى من الاستدعاء باسم العلم (عديّ بن ربيعة) ومن الكنية (أبو ليلى)، وهنا يصبح اللقب مستغنيًا بذاته لا يحتاج تعزيزًا باسم العلم ولا بالكنية.

ومن الشخصيّات التي استدعاها السيابيّ باللقب مجرّدًا من الاسم والكنية شخصيّة الصحابيّ عبدالله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ إذ يقول في زوال ملك الأمويّين وتولي العباسيّين [الخفيف][44]:

غربتْ شمسُهُ وحلّ بنو الـ ... ـعبّاس لكنْ أيديهمُ عسراءُ

تبعوا نهجَ عبد شمسٍ ولمّا ... يعرفوا غيرَ ما يريدُ الغواءُ

ليتَ شعري ما بالهمْ خذلوا البحـ ... ـرَ وأضواؤهُ هي الأضواءُ

لا يلتبس متلقي هذا الخطاب الشعريّ في الشخصيّة المستحضرة بلقب (البحر)؛ إذ لا ينصرف الذهن إلى أيّ شخصيّةٍ غير شخصيّة الصحابيّ عبدالله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ فقد بلغ هذا اللقب من الشهرة ما يجعله حاضرًا في أذهان المسلمين بمختلف أقطارهم وانتماءاتهم، وقد تضمّن النّص مقوّماتٍ تدل على الشخصيّة

المستدعاة، وتبقى هذه المقوّمات إضافةً قد يستغني عنها المتلقي بسبب ارتفاع اللبس في تحديد الشخصيّة لشهرتها باللقب وعدم انصراف الذهن عنها إلى غيرها.

وإذا كان لقب (المهلهل) ولقب (البحر) قد بلغا حدّ الشهرة عند المتلقين إلى درجة ارتفاع اللبس فيهما فهناك شخصيّاتٌ استدعاها السيابيّ باللقب ولم تبلغ ذلك الحدّ من الشهرة عند المتلقين؛ وهذا يؤدي إلى حدوث فجوةٍ بين الشاعر والمتلقي في تحديد الشخصيّة المستدعاة، وهذا ما نجده في استدعاء السيابيّ لشخصيّة (فاطمة بنت حمد بن خلفان الجهضمية) إذ يقول [الخفيف][45]:

فاذكر الصلت منهمُ وتذكّرْ ... موقفَ الجدِّ حينَ دوّى النداءُ

قال لبيكِ إنَّ أُسدَ عمانٍ ... سيجيبون أيُّها الزهراءُ

فإذا السفنُ تملأ البحرَ والخيـ ... ـلُ عليها الأجلّةُ الأقوياءُ

إنّ استدعاء شخصية (فاطمة الجهضمية) بلقب (الزهراء) في النص السابق قد يُحدث لبسًا على المتلقين، فالذي لم يطلع على التاريخ العمانيّ لن يحيله لقب (الزهراء) على شخصيّة (فاطمة الجهضمية) إطلاقا، فاستدعاؤها باللقب ليس كاستدعاء شخصيّة (عديّ بن ربيعة)، وشخصيّة (عبدالله بن العبّاس)؛ إذ إنّ درجة حضور لقبي (المهلهل) و(البحر) في الذاكرة الجمعيّة لا تقارن بحضور شخصيّة (فاطمة الجهضمية) وخاصة أنّ لقب (الزهراء) مرتبطٌ في الذاكرة الجمعيّة بشخصيّة السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا لجأ الشاعر إلى جملةٍ من المقوّمات التي تعين المتلقي على معرفة الشخصيّة المستدعاة، فذكر (الصلت ت 275هـ)[46] وهو الإمام الذي استجاب لاستغاثة (فاطمة الجهضميّة)، وذكر السفن والبحر والخيل؛ لتحيل مجتمعةً على معركةٍ بحريّةٍ كانت الشخصيّة المستدعاة طرفًا فيها، إلّا أنّ هذا الاستدعاء باللقب يبقى ملتبسًا ولا يحيل على الشخصيّة خارج نطاق ذاكرة المطلعين على تلك الأحداث.

وهناك شخصيّاتٌ اشتهرت بألقابها في محيطها الإقليميّ؛ ولهذا تظل مبهمةً في ذهن المتلقين من الأقاليم الأخرى، ومن ذلك استدعاء السيابيّ لشخصيّة الإمام المهنا بن جيفر[47] إذ يقول [الخفيف][48]:

وتولّى بعده صاحب الناب ... وللنّاب نظرةٌ نكراءُ

عُمريُّ الطباعِ هديًا وعزمًا ... لا امتراءٌ في ذلكم لا امتراءُ

فإذا افترّ نابه زُلزلَ القو ... مُ وقالوا قضيّةٌ وقضاءُ

إنّ استدعاء شخصيّة الإمام المهنا بن جيفر بلقب (صاحب الناب) تجعلها حاضرة في ذهن المتلقي العمانيّ؛ إذ بلغ لقب هذه الشخصيّة من الشهرة في الإقليم العمانيّ حدًّا يرفع عنها اللبس، فلا ينصرف الذهن إلى شخصيّة أخرى، إلّا أنّ هذا الحضور للشخصيّة المستدعاة لا يتحقق في أذهان المتلقين من خارج الإقليم العمانيّ، فهذا النوع من الاستدعاء لا يحقّق أهدافه إلّا في النطاق الإقليميّ الذي تنتمي إليه الشخصيّة المستدعاة.

وإذا كان لقب (صاحب الناب) معروفًا في النطاق الإقليميّ العمانيّ فإنّ لقب (شاعر الكون) الذي استدعى به هلال السيابيّ شخصيّة الشاعر أبي مسلم البهلاني ليس معروفًا حتى على مستوى الإقليم العمانيّ، بل إنّه غير معروف حتى عند دارسي الأدب العمانيّ؛ إذ إنّه لقب ابتكره شاعر معاصر فأعجب به السيابيّ ووظفه في استدعاء الشخصيّة إذ يقول [البسيط][49]:

يا شاعرَ الكونِ كلّ الكون آذانُ ... إذا صدحت وكلّ الكون ألحانُ

وكلّ قافيةٍ قد قلتَها شمختْ ... على السُّها فكانّ القولَ قرآنُ

ويبدو أنّ السيابي قد أدرك أنّ لقب (شاعر الكون) الذي استدعى به شخصيّة أبي مسلم البهلاني غير معروف عند المتلقي؛ لهذا لجأ إلى حاشية الديوان للتوضيح قائلًا: «هذا اللقب (شاعر الكون) أطلقه أخونا الشاعر الحجري الموهوب»[50]، وهذا النوع المبهم من الاستدعاء نادرٌ في شعر السيابيّ؛ إذ يلجأ ـ غالبًا ـ إلى الألقاب الأشهر عند استدعاء الشخصيّات بهذه الآليّة من آليّات الاستدعاء.

المحور الثالث: آليّات الاستدعاء غير المباشر.

يظّف السيابيّ الاستدعاء غير المباشر في شعره؛ إذ يستدعي الشخصيّات من خلال الأقوال تارة، ومن خلال الأفعال تارةً أخرى، فيتخذ أقوال شخصيّةٍ ما وسيلةً لاستدعائها في نصه؛ وذلك من خلال توظيف قول أو خطاب يتصل بالشخصيّة المستدعاة؛ سواءً أكان ذلك القول أو الخطاب صادرًا عنها أو موجهًا إليها، بشرط أن يكون صالحًا للدلالة عليها، وليس كل خطابٍ أو قولٍ موظف داخل نص يُعد استدعاءً لشخصيّة قائله، ولا يعدّ ذلك قصورًا في طريقة التوظيف، حيث يتوقف الأمر على حاجة النص لاستدعاء تلك الشخصيّة ومدى إسهامها في إنتاج دلالته[51].

ويتخذ الشاعر أفعال الشخصيّة أو الأدوار التي اضطلعت بها وسيلةً من وسائل استدعائها في النص دون التصريح باسمها، وتوظيف هذه الآليّة من آليّات الاستدعاء غير المباشر يحوّل الأدوار أو الأفعال الدالة إلى دوال، وتتحول الشخصيّات المستدعاة إلى مدلولاتٍ في المستوى الأول من الإدراك احترازًا من وهم قد يخيّل للمتلقي أنّ عمليّة استدعاء الشخصيّة من خلال هذه الآليّة أشبه بأحجية ينتهي دورها بمجرد تعيين المتلقي للشخصيّة المقصودة[52].

أولًا ـ استدعاء الشخصيّة بالقول أو الخطاب:

ينبغي التمييز بين نوعين من أنواع استدعاء الخطاب: أولها استدعاء الخطاب لقيمته الخاصة بصرف النظر عن ارتباطه بقائلٍ معيّنٍ، أي أنّ المقصود هو استدعاء الخطاب لذاته، وفي هذه الحالة لا يكون الخطاب من ملامح استدعاء الشخصيّة، وآخرها استدعاء خطابٍ يُقصد به استدعاء شخصيّة الصادر منه أو الموجه إليه، أي لا يكون الخطاب مقصودًا لذاته، بل المقصود استدعاء شخصيّة صاحبه، وهذا النوع من الاستدعاء يُعد من ملامح استدعاء الشخصيّة[53].

واستدعاء القول أو الخطاب الذي يُقصد منه شخصيّة قائله لا يعني قطع الصلة بين الخطاب اللّاحق والخطاب السابق وإن لم يُقصد ذلك الخطاب لذاته؛ إذ إنّ هذا النوع من الاستدعاء قد تصبح له وظيفة مزدوجة هي الإيحاء أو التفاعل الحر مع شفرات النص واستحضار صورة الشخصيّة في ذهن المتلقي.

وعلى الرغم من أنّ الاستدعاء بالعلم هو السائد في شعر هلال السيابيّ فإنّ الاستدعاء بالأقوال أو الخطاب حاضرٌ في شعره وهذا ما نجده في قوله [الكامل][54]:

بانت سعاد وما حوته من الهوى ما عاب قائلَها النبيُّ ولا رمى

فلم الملام إذا تغزّل شاعرٌ وأتى بمعسول البيان منظّما

استدعى هلال السيابيّ شخصيّة الصحابيّ كعب بن زهير في نصه السابق متخذًا الخطاب وسيلةً لاستدعاء الشخصيّة؛ إذ إنّ القول (بانت سعاد) الذي استحضره السيابيّ يحيل مباشرة على شخصيّة قائله، والسياق في النص يقتضي باستحضار الشخصيّة؛ إذ يسوّغ السيابيّ للقول في الغزل باستحضار شخصيّة (كعب بن زهير) الذي تغزّل بسعاد في مطلع اعتذاريّته المشهورة بحضرة النبيّ دون أن يوجه له الملام، ولا يعني ذلك أنّ دور الخطاب اقتصر على استدعاء شخصيّة قائله فحسب، بل اضطلع هذا الاستدعاء بوظيفة مزدوجة في ذهن المتلقي تجمع بين إيحاءات النص وظلال قائله.

ومن استدعاء الشخصيّات في شعر السيابيّ بأقوالها قوله [البسيط][55]:

(تلك البوارق) جابت كلّ منحدرٍ وكلّ منعطفٍ والأفق جذلانُ

وفي (معاهد تذكاري) سنَا وقنًا ينقدُّ من حدّها رضوى وثهلانُ

كأنّها صرخةٌ بدريّةٌ أنُفٌ أنفاسُها بجلال المجد إيذانُ

وفي (تعلقتُ بالرحمن) مملكةٌ أركانُها أبدًا رُحمى ورحمانُ

إنّ المطّلع على شعر أبي مسلم البهلانيّ لا يجد كبير عناء في استحضار مطالع قصائده، وهذا ما استثمره السيابيّ في شعره؛ إذ استحضر شخصيّة أبي مسلم في الأبيات السابقة عن طريق أقواله المتمثّلة في ثلاثة من مطالع قصائده: (تلك البوارق) و(معاهد تذكاري) (تعلقتُ بالرحمن)، فاستحضار هذه الأقوال يحيل المتلقي مباشرة على شخصيّة القائل؛ لارتباط الأقوال المستحضرة بالشخصيّة المستدعاة ارتباطًا وثيقًا يتعذر معه انصراف الذهن إلى شخصيّة أخرى، ولا شكّ في أنّ هذا الاستدعاء قد اضطلع في ذهن المتلقي بوظيفة مزدوجة تجمع بين إيحاءات النص وظلال قائله،

وعلى الرغم من فنيّة استدعاء الشخصيّة عبر أقولها فإنّ جدوى توظيف هذه الآليّة تبقى محدودةً في استدعاء شخصيّة الشاعر (أبي مسلم)؛ إذ لا يُتصوّر حضور هذه الشخصيّة من خلال أقوالها عند جميع المتلقين، وتبقى شريحة كبيرة من المتلقين ليسوا مطلعين على مطالع قصائد (أبي مسلم) ولهذا تظلّ الشخصيّة التي استدعاها الشاعر عبر هذه الآليّة مبهمة في أذهانهم.

وعبر آليّة القول استدعى السيابيّ شخصيّة الشاعر عبد الله بن علي الخليليّ إذ يقول في قصيدة (صيحة شاعر) [الكامل][56]:

يا ليتَ شعري كيف لي بغباره؟ فأكونُ بين الماجدين مجيدا
من كان وحي العبقريّة شعره من ذا يقاربه مدى وجدودا
ما لي بما حمّلتني من طاقةٍ أبدًا فحسبي أنْ أكون معيدا

استدعى السيابي في قصيدته (صيحة شاعر) جملةً من الأعلام بآلية الاسم إلّا الشاعر عبد الله بن علي الخليلّي؛ فقد استدعاه عبر عنوان ديوانه الأشهر (وحيّ العبقرية)، وجاء هذا الاستدعاء في مقام إجلال المقام الشعريّ للشخصيّة المستدعاة، فالسيابيّ لا يستدعي شخصيّة الشاعر عبد الله الخليلي لذاتها، بل لمكانتها الشعريّة؛ ولهذا كان الاستدعاء عبر آليّة القول أكثر دلالةً للتعبير في هذا المقام، وعلى الرغم من اضطلاع هذا الاستدعاء بوظيفة مزدوجة تجمع بين إيحاءات النص وظلال قائله، فإنّه يصرف ذهن المتلقي إلى المقول قبل شخصيّة القائل، ويبدو أنّ السيابي قد حقّق من هذه الناحية الغاية عبر استدعاء الشخصيّة عن طريق أقوالها، وبما أنّ الغاية الكبرى تتمثّل في حضور الشخصيّة المستدعاة في أذهان المتلقين فإنّ حضور شخصيّة الشاعر عبد الله الخليلي من خلال أقوالها ستبقى محصورةً في أذهان المتلقين القادرين على استحضار تلك الأقوال وربطها بالشخصية المستدعاة.

ثانيًا ـ استدعاء الشخصيّة بالفعل أو الدور

وتجدر الإشارة إلى أن الاستدعاء بالوظيفة أو الدور يعتمد ـ في أغلب الأحيان ـ على استدعاء الشخصيّات التراثيّة صاحبة الأدوار الحية في الذاكرة الجمعيّة، مثل الأنبياء والأبطال والقادة الذين تحتفظ لهم ذاكرة المتلقي بأدوار خالدة على مرّ العصور، فالدور إذن يحيل على الشخصيّة المستدعاة دون التصريح المباشر بها؛ ولهذا «يمكن للمبدع توظيف الشخصية التراثية المستدعاة من خلال آلية الدور، عبر تقنيات متعددة مثل المزج والتداخل بين ما هو تراثي، وما هو حديث، أو خلق رؤية جديدة يفسر من خلالها الدور القديم، أو مخالفة الدور القديم جملة»[57] وعلى الرغم من جماليّة هذا الضرب من الاستدعاء؛ فإنّه يتطلّب براعةً عاليّةً من المبدع ليضمن حضور الشخصيّة في أذهان المتلقين عبر أفعالها وأدوارها التي اضطلعت بها، وهذا يعني أنّ على المبدع أن يُحسن اختيار الشخصيّات التي يستدعيها عبر هذه الآليّة من آليّات الاستدعاء.

وقد استدعى السيابيّ جملةً من الشخصيّات عبر أفعالها وأدوارها، ومن ذلك استدعاء شخصيّة الصحابيّ مازن بن غضوبة السعديّ إذ يقول مخاطبًا مدينته سمائل الفيحاء [البسيط][58]:

تباركَ الله ما أعلى جلالكِ يا ... فيحاءُ يا صنعَ كفٍّ غير شلّاءِ
سعيتِ للمصطفى في يثربٍ قُدمًا ... لله من سعي شماءٍ لشماءِ
رأيتِ طيبةَ بالأنوار ساطعةً ... فبتِّ منها بأنوارٍ ولألاءِ
ولاح وجهُكِ وضاءً بغرّتها ... كأنّه ليس من ترابٍ ومن ماءِ

أسند السيابيّ إلى مدينة سمائل جملةً من الأفعال؛ إذ يقول: (سعيتِ للمصطفى في يثربٍ)، و(رأيتِ طيبةَ بالأنوار)، و(لاح وجهُكِ وضاءً)، ولا يختلف اثنان على أنّ مدينة سمائل لم تقم بالدور الذي أسنده إليها السيابيّ على وجه الحقيقة، وإنّما هو ضربٌ من المجاز العقليّ وظّفه الشاعر ليضطلع بدورٍ فنيٍّ في النص الشعريّ، وعلى

هـذا فهنـاك شـخصيّة قامـت بهـذا الـدور لا يحتـاج المتلقـي إلى كبـير عنـاء لاسـتحضارها؛ إذ تحتفـظ الذاكـرة الجمعيّـة للصحـابيّ مـازن بـن غضوبـة قيامـه بهـذا الـدور فهـو الـذي سـعى إلى المصطفـى ـ صـلى اللـه عليـه وسـلم ـ في يـثرب، وقابلـه وأسـلم عـلى يديـه، ولا يُتصـوّر إسـناد السـيابيّ هـذا الـدور إلى مدينـة سـمائل ضربًـا مـن الصـدف؛ إذ تبـدو القصديّـة مـن هـذا الإسـناد جليّـةً لإبـراز ارتبـاط الشـخصيّة المسـتدعاة بالمـكان، فالصحـابيّ مـازن بـن غضوبـة مـن هـذه المدينـة ومسـجده وقـبره معروفـان فيهـا.

ومـن الشـخصيّات التـي اسـتدعاها السـيابيّ عـبر أفعالهـا وأدوارهـا التـي اضطلعـت بهـا شـخصيّة جـمال الديـن الأفغـانيّ، فلـم يـصرّح باسـمه مطلقًـا مكتفيًـا في الجـزء الأخـير مـن القصيـدة بوصفـه بفيلسـوف الـشرق إذ يقـول [الطويـل][59]:

أيا فيلسوف الشرق ألف تحيّةٍ كما رفّ بالعرف الندىّ شذاء

إلّا أنّ السـيابيّ افتتـح قصيدتـه بـسرد الأدوار التـي اضطلعـت بها الشـخصيّة المسـتدعاة ومـن ذلك قولـه [الطويـل][60]:

فيومًا إلى عبد الحميد تروعُه وما راع أسد الغاب قبلُ عواءُ

ويومًا لشاهِ الفرس تهشم أنفه فشاهٌ كما تهوى العُلى وتشاءُ

ويومًا إلى ذاك الخديوي يهزّه جلالكَ حيث الحقّ فيكَ جلاءُ

اضطلعـت الشـخصيّة التـي اسـتدعاها السـيابي بجملـة مـن الأدوار؛ فقـد روّعـتْ السـلطان عبـد الحميـد الثـاني (ت 1918م)، وهشـمتْ أنـف شـاه الفـرس نـاصر الديـن القاجـاري (ت 1896م)، وهـزتْ جـلال الخديـوي إسـماعيل (ت 1895م)، وهـذه الأدوار مجتمعـةً تشـير إلى شـخصيّة جـمال الدين الأفغـاني (ت 1897م)، وقد كان في وسـع السـيابيّ اسـتدعاء هـذه الشـخصيّة باسـمها أو لقبهـا أو كنيتهـا ألّا أنّـه آثـر عـدم التصريـح بهـا، وفي هـذا لفتـةٌ فنيّـةٌ تتمثّـل في تحويـل الأدوار والأفعـال الدالـة إلى دوال، وتحويـل الشـخصيّة إلى مدلـول، ولا شـكّ في أنّ آليّـة اسـتدعاء الـدور أو الوظيفـة «تعتـبر متـكأ فنيـا يهيـئ للنـص توهـج أداء، وكثافـة عطـاء، وقـوة إيحـاء»[61]، وإذا لم يـصرّح السـيابيّ بشـخصيّة جـمال الديـن الأفغـانيّ فـإنّ الـدور الـذي اسـتدعاه كان دالًا عليهـا.

ويبقى التساؤل قائمًا في هذا الاستدعاء: هل تُعدُّ الأدوار التي استدعى بها السيابيّ شخصيّة جمال الدين الأفغانيّ من الأدوار الحيّة التي تحتفظ بها الذاكرة الجمعية؟ وهل لهذه الأدوار ذلك الحضور في ذاكرة المتلقين؟ لا شكّ في أنّ المتلقين يتفاوتون في مشاربهم الثقافية واتجاهاتهم الفكريّة، ومع ذلك تبقى هناك أدوارٌ أكثر حضورًا من غيرها، فاستدعاء دور إلقاء العصا وشق البحر لا يمكن أن يحيل المتلقي على غير شخصيّة موسى عليه السلام، واستدعاء دور شفاء الأكمه والأبرص لا يحيل على غير شخصيّة عيسى عليه السلام، واستدعاء دور الإسراء من مكة إلى القدس لا يحيل على غير محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا الشأن في استدعاء دور فتح القسطنطينيّة لا يحيل على غير السلطان العثماني محمد الفاتح.

أمّا الأدوار التي استدعى بها السيابيّ شخصيّة جمال الدين الأفغانيّ فقد تحيل على غيره، فما أكثر الشخصيّات التي يصدق عليها ترويع السلطان عبد الحميد الثاني، وتهشيم أنف شاه الفرس، وهزّ جلال الخديويّ، ولولا وجود مقوّمات أخرى في النصّ لما كان في وسعنا الربط بين الأدوار المصرّح بها والشخصيّة المستدعاة، ولا يُتصوّر أنّ تحتفظ الذاكرة الجمعيّة لشخصيّة جمال الدين الأفغانيّ بالأدوار التي أُستدعي بواسطتها، ولهذا يجد المتلقي صعوبةً في تحديد الشخصيّة التي تفرّدت بهذه الأدوار دون غيرها.

الخاتمة:

تناولت الدراسة دوافع استحضار الشخصيّات وآليّات استدعائها في شعر هلال السيابيّ، وكشفت عن غزارة استدعاء الشخصيّات بصورة جعلت منها ظاهرةً بارزةً؛ إذ تمتاز بتنوّع مصادرها، واختلاف وانتماءاتها المكانيّة والزمانيّة، وبالوقوف على دوافع الاستدعاء وآليّاته في شعر السيابيّ تكشّفت النتائج الآتية:

ـ تنوّعت الشخصيّات التي استدعاها السيابيّ في شعره من الناحيّة الزمانيّة والمكانيّة والعرقيّة والدينيّة: فمنها التراثيّة والحديثة، ومنها المحليّة والعالميّة، ومنها العربيّة والأجنبيّة، ومنها المسلمة وغير المسلمة.

ـ شكلت الجوانب الفنيّة أهمّ دوافع استدعاء الشخصيّات في شعر هلال السيابيّ؛ إذ اتخذ من الشخصيّات التراثيّة رموزًا للتعبير عن تجربته الشعريّة، ومعادلًا موضوعيًّا لواقعه وسهلتْ عليه إيصال الأفكار الكبيرة والأحداث الطويلة إلى المتلقي.

ـ تُعدّ الأبعاد النفسيّة والروحيّة من الدوافع التي جعلت السيابيّ يستدعي بعض الشخصيّات التراثيّة في شعره؛ لتكون متنفسًا يبثّ إليها آلامه من الواقع المرير.

ـ دفع الربط بين المواقف أو التجارب السيابيّ إلى استدعاء جملةٍ من شخصيّات إمّا تقاربًا أو تشابهًا أو تناقضًا في المواقف بين الماضي والحاضر؛ لعلّه يجد في المواقف المشابهة قدوةً أو تعزيةً أو مواساةً، وفي المواقف المناقضة تحسرًا أو استنهاضًا أو سخريةً من الواقع.

ـ كثر الاستدعاء المباشر بالاسم أو الكنية أو اللقب في شعر هلال السيابيّ حتى صار ظاهرة كثيفة الحضور مقارنة بالاستدعاء غير المباشر المتمثّل في الاستدعاء بالقول (الخطاب)، أو بالفعل (الدور ـ الوظيفة).

ـ لجأ السيابيّ إلى جملة من المقوّمات النصيّة لتعين المتلقي على استحضار الشخصيّات المستدعاة، إلّا أنّ بعض الشخصيّات تبقى مبهمة في أذهان المتلقين مع وجود المقوّمات النصيّة؛ وذلك لمحدوديّة شهرتها خارج نطاقها الإقليميّ.

ـ التـزم السـيابيّ باسـتدعاء الشـخصيّات بالكنيـة الأشـهر، ونـادرًا مـا يـترك الكنيـة المشـهورة للشـخصيّة وينـصرف إلى الكنيـة الأقـل شـهرة وربمـا تكـون مغمـورةً عنـد فئـةٍ مـن المتلقـين، كـما هـو الحـال في اسـتدعاء شـخصيّة الشـاعر نـاصر بـن سـالم الرواحـيّ بكنيـة (أبي المهنـا) عـلى الرغـم مـن شـهرته بكنيـة (أبي مسـلم).

ـ اعتمـد السـيابيّ الألقـاب المشـهورة في اسـتدعى الشـخصيّات؛ لتكـون حـاضرةً في ذاكرة المتلقـي، إلّا أنّ بعـض الألقـاب ظلـت محصـورة في نطاقهـا الإقليمـيّ كلقـب (صاحـب النـاب) للإمـام المهنـا بـن جيفـر، أمّـا لقـب (شـاعر الكـون) فيبقـى مبهـما حتـى في النطـاق الإقليمـي، وبعـض الألقـاب قـد تلتبـس بغيرهـا كلقـب (الزهـراء) لفاطمـة الجهضميّـة؛ إذ ينـصرف الذهـن إلى السـيدة فاطمـة بنـت الرسـول صـلّى اللـه عليـه وسـلم.

ـ اختـار السـيابيّ الأقـوال المأثـورة، والأفعـال المشـهورة للشـخصيّات التـي يسـتدعيها بآليتـي الخطـاب والـدور، وقـد وفّـق في أغلـب اختياراتـه؛ إذ إنّ تلـك الأقـوال والأفعـال لا تحيـل المتلقـي إلّا عـلى الشـخصيّة التـي قصدهـا الشـاعر، ويـندر حـدوث الالتبـاس كـما هـو الحـال في اسـتدعاء شـخصيّة جـمال الديـن الأفغـانيّ؛ إذ تحيـل الأدوار المـصرّح بهـا عليـه وعـلى غـيره مـن الشـخصيّات التـي عاصرتـه.

Motives and Mechanisms of Invoking Figures in Hilal al-Siyabi's Poetry

Issa bin Said Al-Hoqani,

Assistant Professor of Literary Criticism, University of Nizwa, Sultanate of Oman.

Abstract

This study aims to reveal the motives for invoking figures in the poetry of Hilal al-Siyabi and the mechanisms of invocation in his Poetry Collection (Asdaa min wadi abqar).When thoroughly examining Hilal al-Siyabi's poetry, one can find his invoking of figures who belong to various sources, affiliations, and worlds, as well as the different times and places. In order to thoroughly and precisely examine the case, the study solely focuses on the motives of invocation and its direct and indirect mechanisms. The study discusses three mechanisms for direct invocation as follows: invoking through names, invoking through nicknames and invoking through surnames. There are two mechanisms for indirect invocation which are: invoking through discourse, and invoking through action.

The study used the descriptive analytical approach, as well as theories of reception and interpretation. It is divided into an introduction, three sections, and a conclusion as follows:

Section I: Reasons for invoking figures and their motives in al-Siyabi's poetry.

Section II: Direct invoking mechanisms.

Section III: Indirect invoking mechanisms.

Keywords: Hilal, Al-Siyabi, Figures, Motives, Recall mechanisms.

الهوامش

(1) شرتح، عصام، الظواهر الأسلوبيّة في شعر بدوي الجبل، دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2005م، ص 177.

(2) زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، القاهرة، دار غريب، 2006م، ص49.

(3) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1 مسقط، مكتبة بذور التميز، ط2، 2021م، ص 465ـ 471.

(4) زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، ص49.

(5) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج2، ص 28ـ 45.

(6) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط5، 1994م، ص15.

(7) عبد الصبور، صلاح، مختارات معاصرة في فهم الشعر ونقده، المجلة، العدد77، مايو1993م، ص66.

(8) الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مقوّماتها الفنيّة وطاقاتها الإبداعيّة، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعيّة، ط1، 2005م، ص39.

(9) هلال بن سالم بن حمود بن شامس السيابيّ، شاعر ودبلوماسيّ عمانيّ ولد عام في (1947م)، عمل في وزارة الإعلام، وكان رئيس تحرير جريدة عمان، ثم مديرًا عامًا للإذاعة العمانيّة، ثم عمل في وزارة الداخليّة، حتى انتقل إلى وزارة الخارجية وعمل سفيرًا في كلٍّ من الكويت والجزائر وسوريا حتى أحيل للتقاعد عام 2005م، وأشهر إصداراته ديوان (أصداء من وادي عبقر) في أربعة أجزاء. انظر المحرزي، سند بن حمد، ترجمة الشاعر، منشور ضمن أصداء من وادي عبقر، ج4، ص5ـ 15.

(10) زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، ص13.

(11) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص73.

(12) سمائليّة: نسبة إلى ولاية سمائل من محافظة الداخليّة بسلطنة عُمان.

(13) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج2، 263.

(14) منور، محمد عبد الله، استلهام الشخصيّات الإسلاميّة في الشعر العربيّ الحديث، الرياض، النادي الأدبي، ط1، 2007م، ص43.

(15) خويه، رابح، الشخصيّات التراثيّة في نصوص من الشعر الإسلامي المعاصر، آليّات الاستدعاء ودلالات الاستحضار، المدينة المنورة، دورية العقيق، مج، 40، 2014م، ص163.

(16) إليوت، ت، س، في الشعر والشعراء، ترجمة محمد جديد، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 1991م، ص114.

(17) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج2، ص470.

(18) سلطان، محمد فؤاد، الرموز الدينيّة والأسطوريّة في شعر محمود درويش، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانيّة، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، يناير، 2010م، ص3.

(19) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص226.

(20) واصل، عصام حفظ الله، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، أحمد العوافي أنموذجًا، عمّان، دار غيداء، ط1، 2011م، ص138.

(21) الحوقاني، عيسى بن سعيد، التناص في شعر نزار قباني دراسة نقدية نظرية تطبيقية، مسقط، مكتبة الغبيراء، 2012م، ص308.

(22) زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، ص190.

(23) عبد الفتاح، كاميليا، الأصوليّة والحداثة في شعر محمد حسن الزهراني دراسة تحليليّة نقديّة، الإسكندرية، مصر، دار المطبوعات الجامعية، جورج عوض، ط1، 2009م، ص30.

(24) بنعمارة، محمد، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، الدارس، ط1، 2001م، ص266.

(25) الحوقاني، عيسى بن سعيد، التناص في شعر نزار قباني دراسة نقدية نظرية تطبيقية، ص309.

(26) مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005م، ص65-66، وص88-95.

(27) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص38.

(28) السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان، ج1، مسقط، مكتبة الاستقامة، 2013م، ص116.

(29) الإمام الوارث بن كعب الخروصي إمام عمان من سنة 179هـ إلى 192هـ.

(30) نمر، موسى، توظيف الشخصيّات التاريخيّة في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مجلد 33، العدد2، 2004م، ص117.

(31) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص41.

(32) السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان، ج2، ص 180.

(33) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج2، ص401.

(34) هو الصحابي مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن بشر بن خطامة سعد بن نبهان، أسلم سنة 6هـ وتوفي سنة 25هـ انظر ابن حجر العسقلاني، الحافظ بن أبي الفضل، الإصابة في تمييز الصحابة، ج9، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلاميّة، ط1، 2008م، ص413 والعوتبيّ، سلمة بن مسلم الصحاري، الأنساب، تحقيق: محمد إحسان، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ج1، ط4، ص2006م، ص 299، 300، والسيابيّ، سالم بن حمود بن شامس، عمان عبر التاريخ، سلطنة عمان، وزارة الإعلام، 1995م، ص 110.

(35) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص35.

(36) هو الصحابي ظالم بن سارق بن صبح العتكي الأزدي، كناه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي صفرة، انظر ابن حجر العسقلاني، الحافظ بن أبي الفضل، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلاميّة، ط1، 2008م، ص465، والقرطبي النمري، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الأردن، عمّان، دار الأعلام، ط1، 2002م، ص823ـ 824.

(37) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص35.

(38) نفسه، ج2، ص461.

(39) نفسه، ج1، ص347.

(40) الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف أطفيش من رجال العلم والأدب، جزائريّ من وادي ميزاب، ولد عام 1305 هـ - 1888م وتوفي عام 1385 هـ ـ 1965م.

(41) الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي، ولد في عمان في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، وهو صاحب مسند الإمام الربيع، وتوفي ما بين سنة 171 و180 هجرية ودفن في عمان.

(42) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني من وارجلان بالجزائر، وهو الذي رتب مسند الربيع بن حبيب، توفي سنة 570هـ/1175م، ودفن في سدراتة.

(43) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج2، ص389.

(44) نفسه، ج1، ص37.

(45) نفسه، ج1، ص38،39.

(46) الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي الأزدي من أشهر أئمة عمان، تولّى الإمامة من عام 237هـ إلى أن عزل عام 272هـ وتوفي بعد عزله بثلاثة أعوام. للإطلاع على تفاصيل معركة سقطرى ودور فاطمة الجهضميّة، انظر السالمي، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان، ج1، ص160 ـ 212.

(47) المهنا بن جيفر تولّى الإمامة بعمان عام 226هـ إلى أن توفي عام 237هـ اشتهر بنابه الذي يبرز عند الغضب، انظر السالمي، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان، ج1، ص148ـ 159.

(48) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص38.

(49) نفسه، ج2، ص458.

(50) نفسه، ج2، ص458.

(51) مجاهد، أحمد، أشكال التناص الشعري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م. ص160.

(52) نفسه، ص87.

(53) زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، ص196ـ197.

(54) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج2، ص390.

(55) نفسه، ص460.

(56) نفسه، ج1، ص431.

(57) مجاهد، أحمد، أشكال التناص الشعري، ص88.

(58) السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1، ص105.

(59) نفسه، ج1، ص87.

(60) نفسه، ص85.

(61) الحوقاني، عيسى بن سعيد، التناص في شعر نزار قباني دراسة نقدية نظرية تطبيقية، ص 333.

قائمة المصادر والمراجع:

- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط5، 1994م.
- إليوت، ت، س، (ت 1965م) في الشعر والشعراء، ترجمة، محمد جديد، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 1991م.
- بنعمارة، محمد، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، الدارس، ط1، 2001م.
- الحوقاني، عيسى بن سعيد، التناص في شعر نزار قباني دراسة نقدية نظرية تطبيقية، مسقط، مكتبة الغبيراء، 2012م.
- خويه، رابح، الشخصيّات التراثيّة في نصوص من الشعر الإسلامي المعاصر، آليّات الاستدعاء ودلالات الاستحضار، المدينة المنورة، دورية العقيق، مج، 40، 2014م.
- الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مقوّماتها الفنيّة وطاقاتها الإبداعيّة، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعيّة، ط1، 2005م.
- زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، القاهرة، دار غريب، 2006م.
- السالمي، عبد الله بن حميد، (ت 1332هـ) تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان، مسقط، مكتبة الاستقامة، 2013م.
- سلطان، محمد فؤاد، الرموز الدينيّة والأسطوريّة في شعر محمود درويش، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانيّة، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، يناير، 2010م.
- السيابيّ، سالم بن حمود بن شامس، (ت 1991م) عمان عبر التاريخ، سلطنة عمان، وزارة الإعلام، 1995م.
- السيابي، هلال بن سالم بن حمود، أصداء من وادي عبقر، ج1 مسقط، مكتبة بذور التميز، ط2، 2021م.
- شرتح، عصام، الظواهر الأسلوبيّة في شعر بدوي الجبل، دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب،2005م.
- عبد الصبور، صلاح، مختارات معاصرة في فهم الشعر ونقده، المجلة، العدد77، مايو1993م.

- عبد الفتاح، كاميليا، الأصوليّة والحداثة في شعر محمد حسن الزهراني دراسة تحليليّة نقديّة، الإسكندرية، مصر، دار المطبوعات الجامعية، جورج عوض، ط1، 2009م.
- العوتبيّ، سلمة بن مسلم الصحاري، (ت512هـ) الأنساب، تحقيق: محمد إحسان، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ج1، ط4، ص2006م.
- القرطبي النمري، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (ت 463هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الأردن، عمّان، دار الأعلام، ط1، 2002م
- مجاهد، أحمد، أشكال التناص الشعري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005م.
- منور، محمد عبد الله، استلهام الشخصيّات الإسلاميّة في الشعر العربيّ الحديث، الرياض، النادي الأدبي، ط1، 2007م.
- نمر، موسى، توظيف الشخصيّات التاريخيّة في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مجلد 33، العدد2، 2004م.
- واصل، عصام حفظ الله، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، أحمد العوافي أنموذجًا، عمّان، دار غيداء، ط1، 2011م.

References

- **Abdulfattah, K. (2009). [Fundamentalism and modernity in Mohammad Hasan Al-Zahrani poetry: An analytical and critical study] (George Awad, 1st ed.). University Publishing House, Alexandria.**
- **Abdulsabour, S. (1993). [Contemporary selections in understanding and criticizing poetry]. The Journal, 77.**
- **Al-Otbi, S. B. M. A. (2006). [Lineages, edited by Mohammad Ihsan, 512 AH], Part 1, 4th ed. Ministry of Heritage and Tourism.**
- **Al-Qurtubi. A and Yusuf, B.A.A.A. (2002). [Comprehension in learning about companions, 463 AH] (1st ed.). Dar Aalam.**
- **Al-waraqi, A. (2005). [Language of modern Arabic poetry: Its technical elements and creative potential] (1st ed.). Dar Al-Marifa Eljamia.**
- **Al-Salmi, A. B.A. (2013). [The masterpiece of notable people in the history of Omani people] (1332 AH ed). Al-Istikama Library.**
- **Al-Sayyabi, H. B. S. B. H. (2021). [Echoes from Abqar Valley, part 1, Muscat] (2nd ed.). Excellence Seeds Bookshop.**
- **Al-Sayyabi, S. b. h. Sh. (1995). [Oman throughout history,1991 ed]. Ministry of Information. Sultanate of Oman.**
- **Eliot, T. S. (1991). [On poetry and poets, 1965 ed]. (Trans.). Mohamamd Jadeed, Dar Kanan for Studies.**
- **Ismail, I. D. (1994). [Contemporary Arabic poetry] (5th ed.). Academic Library.**
- **Khweih, R. (2014). [Cultural characters in contemporary Islamic poetry, recalling mechanisms and evocation inferences]. Al-Aqiq Journal, 40.**

- **Muftah, M. (2005). [Analysis of poetic discourse (strategy of contextuality)] (4th ed.), Casablanca, Arab Cultural Centre.**
- **Mujahid, A. (1998). [Forms of poetic contextuality]. The General Egyptian Book Organization.**
- **Munwer, M. A.A. (2007). [Inspiration of Islamic characters in modern Arabic poetry] (1st ed.), Literary Club in Riyadh.**
- **Namer, M. (2004). [Employing historical characters in contemporary Palestinian poetry]. Aalam Elfikr, 33(2).**
- **Shartah, E. (2005). [Stylistic phenomena in Badawi Aljabal poetry]. The Arab Writers Union.**
- **Sultan, M. F. (2010). [Religious and mythological symbols in Mahmoud Darwish poetry]. Al-Aqsa University Journal, Humanities Series, 4(1).**
- **Wasil, E. H. A. (2011). [Heritage contextuality in contemporary Arabic poetry: Ahmad Al-Awafi as an example] (1st ed.). Dar Ghidaa.**
- **Zaid, A. A. (2006). [Recalling cultural characters in Arabic poetry]. Dar Gharib.**

Association
of Arab Universities

The Scientific Society of Arab
Universities Faculties of Arts

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published by The Scientific Society of
Arab Universities Faculties of Arts at
Universities Members of AARU

Vol. 21

No.1

April 2024 / Shawal 1445 H

ISSN 9849 – 1818